المصـــــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 12-12-2006 العـــدد : 225
الصفحـات : 23 المسلسل : 191

تعليمنا الجامعي إلى أين؟

تعالت الأصوات المطالبة بمعالجة جادة وعاجلة لأوضاع الجامعات الوطنية هنا بعد تذيّل معظمها لقوائم تصنيف أكاديمية عالميا، والذي ظهر مؤخرا مع تداول مجلس الشورى في نظام التعليم العالي الجديد مؤخرا..بينما شكّكت في المقابل أصوات أخرى داخل مجلس الشورى وفي وسائل الإعلام هنا في منهجية وموضوعيّة الجهات البحثية والعلمية التي أصدرت قوائم عالمية لأفضل 200وأبرز 500 وأرقى3000 مؤسسة أكاديمية في الأشهر القليلة الفارطة،والتي تأخذ في اعتبارها معياريا مسائل التعليم المختلط وفرص الذكور والإناث التعليمية وحريات الأديان والتعبير وربما المعلوماتية ووسائط النشر الإلكتروني في تصنيفها الجامعي..بطبيعة الحال.وكما هو حالنا نافح من نافح عن نظامنا التعليمي وجودته النوعية،وانتقد من انتقد هذا النظام التعليمي وكال له التهم من كل شكل ونوع،وكلا الطرفين لا يحتكم لمنهجية أو أدوات معيارية تسند موقفه وتدحض ما لدى الطرف الآخر.. ولا غرابة البتة فيما يبدو لي في وضع كهذا إذا ما أخذنا في الاعتبار شغفنا الأزلي هنا بالمغامرات الكلامية والإنشائيات المشحونة بالعواطف وبعيدا عن منطق الفحص والتحليل الرقمي والمعياري لمكونات النظام الجامعي(مدخلات ومعالجات ومخرجات)..

قناعتي أنه، وبصرف النظر عن صدمة التصنيف الضعيف لجامعاتنا والتي وردت في بعض قوائم التقييم للمؤسسات العلمية في العالم والتي استشهد بها البعض في جلسة مناقشة مجلس الشورى التي تداولت في النظام الجامعي الجديد،وعرض لها عديد من كتاب الرأي في صحافتنا خلال الأسبوعين الفارطين.أقول بصرف النظر أيضا عمن يقول بمسؤولية وزارة التعليم العالي عن أوضاعنا الجامعية بحسب ما جاء في قناعات معظم من كتب وتحدّث هنا عن الموضوع في مجلس الشورى أو في وسائل الإعلام،وبصرف النظر عن هذا وذاك،لم تكن،وهذا الغريب طبعا،أقول في يوم من الأيام منار تفكير جاد ومنهجي مؤسسي في البلد،اللهم إلا موسميا وفي نطاق قبول خريجي وخريجات التعليم العام..المجتمع برمته لم يفكر في هموم ومشكلات وجودة ونوعية التعليم الجامعي ومخرجاته بجدية على الأقل من باب تنموي إذا جاز القول في أي وقت من الأوقات عدا ما قد يطرح هنا أو هناك من نثارات أكاديمية لمهمومين من الوسط الجامعي في ندوات أو حوارات أو في الصحافة المتخصصة..وأقعنا الجامعي بكل أمانة كنا نرقب نضوبه وتراجع كفاءته من التسعينيات الميلادية للقرن الفارط،ومع هذا لم يفكر أحد في إطلاق صفارات الإنذار المبكر لتدخل مؤسسي حكومي جاد وحازم لإعادة أوضاع التعليم الجامعي للوضع الطبيعي لها في بلد من أغنى بلدان المنطقة وأكثرها نموا وتوسّعا في مشاريع التنمية..واقع جامعاتنا الهيكلي -وظيفيا وماليا وإداريا- كنا نعرف عن هلاميته وعدم جدواه لكونه لا يختلف كثيرا عن بقية الهيئات والأجهزة الحكومية التي تتبع نظام الخدمة المدنية على الرغم من أن لا علاقة من قريب أو بعيد لمؤسسات يتحدّث في الشأن الجامعي لا يستوعب أصلا مكونات العمل الأكاديمي وعملياته على المدخلات والمخرجات الأساسية له!!حالة الهبوط الحادة للحياة العلمية والبحثية في جامعاتنا، وتردّي مخرجاتها وتهالك إسهاماتها في تنمية مؤسسات الإنتاج الكبرى في المجتمع مردها بكل بساطة لمنظومة التفكير والعمل الوظيفية الصرفة التي ظلت تعمل بها أكاديمياتنا ربما من

> طالما أن مجلس الشورى اليوم يتداول في أسس النظام الجامعي ومجلس التعليم العالي المقترحة،فإنه من المؤاتي أن يتعاطى المجلس معها بأبعاد مستقبلية تأخذ في الاعتبار التوسّع السكاني والاقتصادي والانضمام لمنظمة التجارة العالمية...

تمتهن المعرفة وتتعاطى مع البحث والدرس والتحصيل والتدريب بالنظام الوظيفي المدني للمؤسسات العامة في البلد..!!يا سبحان الله لا تستطيع أن تفهم ردود الفعل العجائبية التي تنطلّ مخلوقات الله هنا كلما سرّبت معلومة أو نصف معلومة حتى يقيموا الدنيا ولا يقعدونها مثلما تبسّتنا انتفاضة نسف النظام الجامعي وسحب وزارة التعليم العالي لمذبح عام حتى وإن كان معظم من الزمن كمصالح حكومية عامة تستلم مخصصاتها السنوية من الدولة لتصرفها على دورات عمل روتينية لا تحاسب ولا تقيّم على إنتاجاتها آخر العام بقوائم الجرد الأولية أسوة بما يحدث في المؤسسات الأكاديمية المماثلة في العالم..بكل بساطة،يا سادة يا كرام مفهوم الجامعة لدينا يخلو من أي نظام معياري تصنّف بموجبه أنشطة البحث والتدريس والترقية والتوظيف وجودة

المصـــــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 12-12-2006 العـــدد : 225
الصفحـات : 23 المسلسل : 191

عبدالله الطويرقي*

ونوعية مخرجاتها وإسهاماتها في الفضاء المجتمعي-الفردي والمؤسسي- المحلي..فالمناخ الراعي لمداخيل الجامعات والاعتماد الكلي على موازنة الدولة في تمويل المشاريع والبرامج وتأسيس المدن والتجهيزات التي كلفت خزينة الدولة عشرات المليارات هو سبب ونتيجة طبيعية لحالة التكايا إن جاز القول في أوساطنا الجامعية..والتي تخلت فيها الجامعات عن معايير تقويم أدوارهـا وأدائـهـا المعـرفي الجادة والصارمة لتتبنى معايير الوظيفة العـامـة الـتـي لا تتطلّب الـكثير في المقابل..هذا في الوقت الذي يباعد فيه بين هذه الجامعات والقطاع الخاص والرساميل المحلية الضخمة التي ما فتئت على مدى عقود تغازل مناخات الجامعات لعل وعسى تحظى فيها بدور على غرار ما يحدث في أرقى المؤسسات الجامعية الذائعة الصيت في العالم..النظام الجامعي الموحد الذي ولدّته ظروف ما بعد حرب الخليج الثانية في التسعينيات الفارطة،لم يكن مسؤولية وزارة التعليم العالي وحدها قدر ما كان مسؤولية مشتركة لرؤية وقـنـاعـات أجـهـزة الماليـة والخدمة المدنية وغيرها من مؤسسات الدولة في حينه..وتحرير الجامعات من سطوة هذا النظام الوظيفي/المالي/الإداري هو البداية الحقيقية لمنظومة جامعية منافسة عربيا وعالميا ومنتجة للمجتمع في ذات الوقت..وأبرز ما يؤكد سلامة هذا التوجه هو المعيار الطبيعي الذي تبناه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله لجامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية والتي يراد لها أن تكون أكاديمية عالمية منتجة عما قريب..النظام الجامعي المنتج لمجتمعنا اليوم هو الذي يزاوج بين شراكة الدولة والقطاع الخاص ويعطي استقلالية كاملة للجامعات إدارية ومالية بعيدا عن نظام الخدمة المدنية في استقطاب أبرز أعضاء هيئة التدريس ومحاسبة وتقويم الأداء البحثي والتعليمي والتحكم في نوعية وجودة الأدوات والمناهج والأساليب الأكاديمية ومتابعة المخرجات وترشيد المدخلات من وقت لآخر..ولطالما أن مجلس الشورى اليوم يتداول في أسس النظام الجامعي ومجلس التعليم العالي المقترحة،فإنه من المواتي أن يتعاطى المجلس معها بأبعاد مستقبلية تأخذ في الاعتبار ليس فقط الثغرات الموجودة الآن في النظام الجامعي القائم وإنما اعـتـبـارات الـتـوسّـع السكاني والاقتصادي والانضمام لمنظمة التجارة العالمية ودخول المملكة في شراكات تجارية وتصنيعية إقليمية وعـالمية ضـخـمـة آخذة في تحويل البلد لوضع وواقع مختلف حتما عما هو قائم اليوم..

* كاتب سعودي
Twergy@alwatan.com.sa